اليوم الوطني نقطة انطلاق جديدة

حمد بن عبدالله اللحيدان

من المعروف ان تأسيس المملكة بدأ عام ١٣١٩ه الموافق ١٩٠٢م وقد احتفلنا جميعاً في عام ١٤١٩ه في الذكرى المئوية لبدء تأسيس المملكة العربية السعودية الذي بدأ باسترداد الملك عبدالعزيز - رحمه الله - عاصمة ملكه الرياض، وبعد كفاح استمر أكثر من ثلاثين عاماً تُوج بإعلان توحيد أجزاء البلاد تحت مسمى المملكة العربية السعودية عام ١٣٥١ه ومنذ ذلك التاريخ ونحن نحتفل كل عام بذكرى ذلك اليوم العظيم الذي توج مشوار الكفاح والجهاد بإعلان أول تجربة وحدوية ناجحة للعرب في العصر الحديث.

وهذه الأيام نحتفل باليوم الوطني الرابع والسبعين وهذا الاحتفال يتوافق مع بدء القرن الحادي والعشرين الذي تتنافس فيه الأمم المختلفة فيما بينها أملاً في تحقيق نجاح غير مسبوق في المجال العلمي والاقتصادي والتنمية الاجتماعية ومكافحة الإرهاب.

والمتتبع للأحداث يشاهد كماً هائلاً من المتغيرات التي حولت العالم المتباعد الأطراف إلى قرية صغيرة أطرافها في متناول أطراف الأصابع وفي مقدمة هذا التقدم الهائل الثورة الحديثة في مجال المعلوماتية وثورة الاتصالات وشبكة الانترنت وأصبح الإنسان لا يعرف على وجه التحديد ما هو الشيء الجديد القادم خلال السنوات بل الأشهر القليلة القادمة فكل يوم يأتي العلم بجديد.

أما نحن في المملكة العربية السعودية فقد عملنا مراجعة كاملة لمسيرتنا خلال المئة سنة المنصرمة وذلك من خلال الاصدارات والمؤتمرات المختلفة التي وثقت انجازات مئة سنة منصرمة والتي تم انجازها من خلال الاحتفال بالذكرى المئوية لتأسيس المملكة وقد وجدنا أن من أهم الانجازات التي تحققت خلال تلك الفترة الوحدة الوطنية التي نحتفل اليوم بذكراها ثم نشر التعليم والصرف عليه بسخاء والذي كانت نتيجته التحول من مجتمع أمي إلى مجتمع متعلم يصل عدد الطلبة والطالبات فيه إلى حوالي خمسة ملايين ينتمون إلى التعليم العام والعالي وذلك خلال فترة وجيزة من عمر الزمن لا تتعدى الخمسين عاماً ناهيك عن ايجاد البنية التحتية من مواصلات واتصالات وصحة وزراعة وصناعة والتوسع في مجال الشورى من خلال تشكيل مجلسه بصورته الجديدة وغيرها مما لابد منه للانطلاق إلى عصر المعلوماتية وثورة الانترنت ودخول معترك العولمة بسلاح العلم والمعرفة وتحديد الهدف الذي نسعى من أجله ونتوخاه خلال القرن الجديد الذي يجب ان نثبت لأنفسنا وللآخرين اننا أمة حية قادرة على المنافسة وتحقيق قصب السبق في جميع الميادين.

واليوم الوطني الجديد الذي نحتفل به هذه الأيام يأتي وقد ترسخت عدة أمور تنظيمية هامة مثل المجلس الاقتصادي الأعلى والمجلس الأعلى للبترول والهيئة العامة للاستثمار والهيئة العليا للسياحة وفتح باب الاستثمار أمام رأس المال الأجنبي وبدء انتخابات المجالس البلدية ومد يد الإصلاح إلى عدد كبير من الفعاليات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية وغيرها، وكل ذلك يشكل لبنات جديدة تضاف إلى صرح البناء والتشييد وتدعم التنمية الوطنية وتفتح مزيداً من فرص العمل أمام الشباب الذي تتزايد أعداده بشكل متوالية هندسية وكل ذلك ناتج بفضل الله عن الاستقرار السياسي والأمني الذي تنعم به بلادنا الحبيبة والتي قوامها تحكيم شرع الله في المقام الأول ثم التآلف والتكاتف بين القاعدة الشعبية والقيادة الحكيمة سدد الله خطى أمتنا على طريق الخير والنماء.

ان المتتبع لمسيرة التنمية وخططها السبع الماضية يلاحظ عددا كبيرا من الانجازات الهامة التي تؤهل في مجملها وتحفز إلى انطلاقة جديدة في ميدان العطاء والرخاء والنمو ولكن بأسلوب جديد يأخذ بعين الاعتبار الثورة التقنية بجميع أبعادها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية مع المحافظة على

الهوية الثقافية المميزة لنا كأمة لها دورها الفاعل داخل المجتمع الدولي خصوصاً انها تحمل الرسالة البديلة لجميع ما سنه البشر من قوانين وضعية يثبت كل يوم قصورها عن الوفاء بمتطلبات الإنسان وطموحاته لأنها قوانين مادية ليس للروح في أغلبها نصيب هذا من ناحية ومن ناحية ثانية ان الرقيب فيها هو القانون وهذا لا يكفي ذلك أن رقابة الضمير والاعتقاد بوجود إله حسيب ورقيب هو الفيصل في الانضباط وسلامة المجتمع من الآفات والانحرافات المختلفة والإسلام كما هو معروف دين ودولة أثبت ويثبت كل يوم انه الأنفع لبني البشر لأنه من وضع رب البشر وخالقهم.

وحيث ان اليوم الوطني محطة نمرّ بها كل عام نتذكر من خلالها ما تم انجازه خلال الفترة الماضية ونستمد منها العزم لصنع انجازات جديدة إلا ان توفر أعداد أكبر من الشعب وارتفاع مستوى التعليم بينهم بصورة لا تقارن بما كان عليه الوضع قبل بضعة عقود ناهيك عن وجود اقتصاد قوي وبنية تحتية ممتازة في جميع المجالات كل ذلك يؤهل إلى مزيد من الانجاز في الميادين المختلفة وفي مقدمتها التعليم والتدريب اللذان هما المفتاح لآفاق المستقبل، فالتقنية لا يمكن أن توطن أو يستفاد منها دون علم مقرون بالتدريب والشباب اليوم مندوب للاتجاه إلى ميادين العلوم التطبيقية الميدانية ذلك ان عصر الأعمال المكتبية الصرف قد ولى وجاء عصر البقاء للأقدر من الشباب على ادارة الآلة وتطويرها. ان العلم ليس ملكا لأحد والناس في جميع أنحاء العالم يولدون على الفطرة فكما أن المعتقدات تزرع في أدمغة البشر من قبل الوالدين فإن التقنية تكتسب من خلال التعليم المقرون بالتدريب لذلك فإن أبناء الغرب في أوروبا والشرق في اليابان ليسوا بأفضل من أبنائنا لا من حيث القدرة الذهنية ولا الاستعداد الفطري لكن الفرق يكمن في فوارق اجتماعية موروثة يمكن التخلص منها من ناحية وعدم استثمار التعليم الاستثمار الأمثل، ناهيك عن جبن رأس المال الخاص وعدم اقدامه على الاستثمار الطويل الأجل من خلال التدريب على رأس العمل ورغبة رب العمل التعامل مع خبرة أجنبية جاهزة ورخيصة وعلى الرغم من أن ذلك يلبي مصلحة فردية عاجلة إلا انه يحدث أضرارا كبيرة على المستوى الوطني تتمثل في حوالات العمالة الأجنبية لمليارات الريالات إلى خارج البلاد وهذا عبارة عن سوس ينخر في الاقتصاد الوطني ناهيك عن شغل عدد كبير من فرص العمل التي يحتاجها الشباب السعودي ولكن الشيء المحمود أن الدولة سلمها الله قد انتبهت إلى هذا الوضع وبدأت البرامج والخطط الواعدة في القضاء على هذا الخلل الذي فرضته حركة التنمية المتسارعة في الماضي. وهذا يعني أن خطط التنمية القادمة سوف تقوم على السواعد الوطنية السعودية المتعلمة والمدربة على أحدث أنواع التقنية والتي زُرع فيها حب العمل والمسؤولية لذلك فإن المتطلع لآفاق المستقبل يجد أن هناك مجموعة من المشاريع التي تخدم التنمية وتحقق سعودة القوى العاملة ذات القدرة على حمل لواء توطين التقنية خصوصاً في ضوء تحسن مستوى الاقتصاد الوطني ووجود فائض ضخم في الميزانية حدد معالم الاستفادة منه قرار صاحب السمو الملكي الأمير عبدالله بن عبدالعزيز ولي العهد نائب رئيس مجلس الوزراء ورئيس الحرس الوطني - حفظه الله - ومن أهم المعالم والأمور التي يمكن ان تفعل ما يلي:

-1كلية الطب الملكية السعودية والتي يمكن أن تكون على شكل جامعة طبية تقوم على مبدأ المشاركة بين القطاعات الطبية والصحية المختلفة سواء كانت عامة أو خاصة ذلك ان مثل تلك الجامعة الطبية موجودة على أرض الواقع ممثلة في المستشفيات العملاقة في مدينة الرياض بجميع ما تحويه من تجهيزات طبية وفنية فكل ما تحتاجه تلك الجامعة هو مدرجات وادارة وطلاب خصوصاً ان الرياض سوف يصل عدد سكانها خلال فترة وجيزة إلى حوالي ستة ملايين نسمة وهذا سوف يكون أكثر فعالية من الجهود القائمة مثل كلية الطب في جامعة الملك سعود المحدودة الامكانات أو كليات الطب الوليدة في كل من الحرس الوطني ومدينة الملك فهد الطبية.

-2الوكالة السعودية للطاقة الذرية فاستخدام الطاقة الذرية للأغراض السلمية خصوصاً في مجال توليد الكهرباء وتحلية مياه البحر أمر هام خصوصاً ان مثل ذلك الاستثمار في هذا المجال يوجد العقول الوطنية القادرة على التعامل مع هذا النوع من التقنية المتقدمة وتوطينها وعلينا ان نوطن تلك التقنية بغض النظر عن نعيق الغربان ونقيق الضفادع.

-3الاتجاه من تحويل جميع الأقسام العلمية في الجامعات إلى أقسام تطبيقية تعد الخريج لسوق العمل وهذا الاتجاه بدأت تأخذ به أعداد كبيرة من الجامعات العالمية العريقة والمرموقة في كل من الشرق والغرب على حد سواء وذلك لضمان استمرار اقبال الطلاب عليها وضمان فرص العمل لهم بعد التخرج خصوصاً ان تلك الجامعات بدأت تلقى المنافسة الحادة من قبل مراكز التدريب المتخصصة التي تقوم على مبدأ التعليم المقرون بالتدريب.

-4من المفيد ان تقوم جامعاتنا المختلفة باستبدال أسلوب التعليم عن طريق الانتساب بأسلوب التعليم عن بعد غير المحدود بالزمان والمكان والذي يستخدم شبكة الانترنت كوسيلة للتواصل بين قاعة الدرس والمتلقي مما يلغي كثيراً من القيود الادارية والزمانية والمكانية ويشحذ روح التعليم واستخدام تقنية الحاسب أمام أعداد كبيرة من الناس ممن لا تسمح لهم ظروفهم الالتحاق بالدراسة النظامية مثل الموظفين والعسكريين وربات البيوت وغيرهم كثير.

-5التعاون والتكامل بين القطاعات الاكاديمية المختلفة أصبح أمراً هاماً له ما يبرره من الناحية الاكاديمية والاقتصادية لأن ذلك سوف يلغي الحاجة إلى التعاقد مع من تتوفر خبرته في الداخل ناهيك عن ان ذلك يبني مزيداً من التجربة والاحتكاك بين الاكاديميين السعوديين بمختلف تخصصاتهم. وعلى العموم فإن مثل ذلك التكامل بين الجامعات والقطاعات الاكاديمية المختلفة العامة والخاصة أمر معروف في جميع الدول المتقدمة لذلك نجد أن صاحب التخصص المتميز والنادر يقوم بعملية التدريس والاشراف على الرسائل في عدة جامعات وليس في جامعة واحدة دون قيود.

وفي الختام فإنني احب ان أشير إلى ان اليوم الوطني محطة نلتفت منها إلى الوراء لاستقراء ما تم تحقيقه من منجزات عظيمة على امتداد مساحة هذا الوطن المعطاء ونافذة نستشرف منها آفاق المستقبل من خلال العمل على تحويل الأماني والخطط والبرامج إلى نتائج ومنجزات نفتخر في الأيام الوطنية القادمة بتحقيقها ونضيفها إلى سجل الانجازات غير المحدودة التي صنعنا من خلالها واقع هذا الوطن الكبير المتميز بشموخه وعطائه ومواقفه ووفائه الذي يعكس طبيعة هذه الأمة حاكما ومحكوما وما الوقفة الوطنية الصلبة والتكاتف الشامل بين الشعب والحكومة أمام الإرهاب وتجارة الأخير شاهد على وحدة الكلمة ووحدة الهدف اللتين هما المعيار الأساسي للأمن الوطني وما يترتب عليه من استقرار ونماء وتطور. واليوم يحق لنا ان نحتفل بيوم وطني جديد يعتبر نقطة انطلاقة جديدة حيث يتم الانتصار على الإرهاب والدخول في دورة اقتصادية أكثر فعالية مدعوماً ذلك بتعداد جديد للسكان سوف يجعل التخطيط للمستقبل أسهل والبرمجة أكثر فعالية، وإلى أيام وطنية جديدة قادمة ملؤها الانجاز والطموح والاصرار على صنع مجد جديد. بجعل هذه المنطقة مصدر اشعاع علمي كما هي مصدر اشعاع روحي متميز تهفو إليه أفئدة أكثر من مليار مسلم في جميع أنحاء العالم، والله المستعان.